

**في سردية شاعر: قراءة في كتاب 'الشّابي.. أبحاث وثائق وصور'  
لأبي القاسم محمد كرو**

**A poet's story: a reading in the book «Al-Shabi.. Research Documents and pictures »  
by Abu al-Qasim Muhammad Karru.**

**د. بسمة سليمان**

**كلية الآداب والفنون والإنسانيات - جامعة متوبة  
تونس**

**omheny@outlook.fr**



## في سردية شاعر: قراءة في كتاب "الشّابي.. أبحاث وثائق وصور" لأبي القاسم محمد كرو

د. بسمّة سليمان

### الملخص:

أبو القاسم محمد كرو مفكر تونسي أكد على ضرورة الكتابة في تاريخ الأدب التونسي المعاصر باعتماد تحقيق خاص به وأمن بدور المغاربة في معاضدة المدرسة المشرقية لتأسيس منهج فكري أصيل يضطلع فيه مؤرخ الأدب بدور الشهادة فيقوم بحفظ سير الشعراء والكتّاب المعاصرين له في بيئته المحليّة. وقد قام بمجهود خاص في دراسة المذكرات والمخطوطات والمسودّات التي تركها أبو القاسم الشّابي الشّاعر التونسي إثر وفاته في كتاب بعنوان "الشّابي.. أبحاث وثائق وصور". والسؤال المطروح كيف وفق أبو القاسم محمد كرو في تجاوز تعقيدات العلاقة بين التاريخ والأدب ببناء قصة الأديب بناءً يخضع لقوانين كتابة تاريخ الأدب؟ فتلك الكتابة تستخدم نماذج متعدّدة للسرد دون الإغراق في الانطباعيّة والذاتية وتوظف اللّغة للتسجيل المحايد دون الإغراق في التّخييل والتّمثيل المتزاح عن حقيقة ذلك الأديب.

كلمات مفاتيح: تاريخ الأدب - التّحقيق - الشهادة - سرد - تسجيل - تخييل - تمثيل

### Abstract:

Abu al-Qasim Muhammad Karrou, a Tunisian thinker, stressed upon the necessity of writing in the history of Contemporary Tunisian literature by adopting his own engraver, and believed in the role of Moroccans in supporting the Oriental School in order to establish an original intellectual method in which the literary historian would play the role of testimony, thus preserving the biographies of contemporary poets and writers in his local environment.

He made a great effort to study the notes, manuscripts, and drafts left by The Tunisian Poet Abu al-Qasim al-Shabi after his death in a book entitled "Chabi: Documents and Photographs Research". The question that could be asked is: How did Abu al-Qasim Muhammad Karrou overcome the intricate relationship between history and literature by building the literary story in a structure that is subject to the laws of writing the history of literature? This method of writing uses multiple models of narration without employing the overwhelm of impressionism and subjectivity, and uses language for neutral recording without the heavy use of imagination and representation.

**Key words:** History of Literature, Time era, Testimony, Narration, Recording, Fiction, representation.

## 1- مدخل:

حظيت مدونات تاريخ الأدب بمنزلة خاصّة عند جمهور القراء في العالم العربيّ منذ مستهلّ القرن العشرين، ومن هؤلاء القراء الطلبة والمقبلون على الدّرس والتّحصيل بالخصوص لأنّ الصّبغة الغالبة على هذا النّوع من الكتب هي التّعليميّة الإرشاديّة. وفي السّابق اعتبر "بروكلمان" أنّ المصنّفات العربيّة في هذا الاختصاص لم تراوح تلك الميزة المدرسيّة مفتقرة إلى القيمة العلميّة، ذلك أنّ مراكمة هذا النّوع من المصنّفات في المشرق العربيّ غلب عليها الطّابع الكميّ دون التّوفيق في اكتساب بصمة دالّة على الوضوح المنهجيّ والنّضج الفكريّ. وبدايات التّاريخ العربيّ، وفق تقديره، قد استأثرت بها الحوليّات المكتوبة بالفارسيّة الوسطى ممّا دلّ على أنّ الرّوح الإيرانيّة قد أثّرت تأثيراً قاطعاً فيها<sup>1</sup>، فمؤرّخو الأدب نسجوا على منوال البلاغة الفارسيّة المتّسمة بالفخامة وبالعبارات الغريبة مصطنعين ذلك الأسلوب لتمجيد سير عظمائهم.

غير أنّ أبا القاسم محمّد كزو، النّاقّد التّونسيّ الذي ولد سنة 1924م وتوفّي سنة 2015م، قد آمن بدور المغاربة في معاضدة المدرسة المشرقيّة لتأسيس منهج فكريّ أصيل وفاعل، يرتكز على مبدأ القرب في المكان والزّمان ويضطلع فيه مؤرّخ الأدب بدور الشّهادة فيقوم بحفظ سير الشّعراء والكتّاب المعاصرين له في بيئته المحليّة، معتمداً التحريّ والتّثبت من كلّ معلومة بجمع الوثائق والمخطوطات والتّمعن في تفاصيلها، مؤمناً أنّ الحيّز المحليّ القريب يبني جسور تواصل وتلاق مع العالم العربيّ في رحابته وتنوّعه.

وإذ خصّص جلّ كتاباته للدّفاع عن خياراته الفكريّة والأدبيّة فقد أكّد أيضاً على ضرورة الكتابة في تاريخ الأدب التّونسيّ المعاصر باعتماد تحقيق خاصّ به منوّهاً بافتقار السّاحة الأدبيّة لذلك. وكأنّنا به يبعث برسالة إلى كلّ من أنكر دوره على خلفيّة تكوينه المشرقيّ العصاميّ، مفادها أنّ المنهج التّاريخيّ لم يتجاوز الزّمن، وأنّ تكريم الشّخصيّة التّونسيّة والمغربيّة عموماً يكون بمدّ جسور قوميّة متينة بين المغرب والمشرق قوامها التّوازن حواراً وسجالاً لإبراز نقاط الائتلاف والاختلاف.

وفي خضمّ هذا الهاجس الفكريّ ترعّ أبو القاسم الشّاتيّ أميراً لكلّ الأوقات التي عايشها أبو القاسم محمّد كزو، بدءاً من شبابه وانتهاءً إلى خريف العمر. فقد سارع بحماية أوراقه ومذكراته ومخطوطاته مستنبتاً إيّاها في دفاتر الذاكرة التّونسيّة حتّى لا يغمرها النسيان ولا يأتي عليها الإهمال، مُخصّبا إيّاها بما وقر في ضميره من عرفان وتعلّق بشخصيّة أبي القاسم الشّاتيّ للدور الأدبيّ والوطنيّ الذي قام به هذا الشّاعر.

وقد حاول أن يُترجم ذلك التعلّق ببناء رؤية فكريّة خاصّة به قوبلت في أحيان كثيرة بالتّجاهل ولم تحظ بالتقدير الكافي. ذلك أنّ تكوين أبي القاسم محمّد كزو لم يكن ليلاقي صدى أو شهرة في الأوساط الأكاديميّة التّونسيّة، لأنّ المدرسة التّونسيّة، مدرسة الاستقلال خاصّة، قد قطعت أشواطاً متقدّمة في التّفاعل مع مناهج النّقد الحديث، ممّا جعلها تنظر باستعلاء إلى المقاربات الانطباعية والذوقية، معتبرة إيّاها فاقدة للصرامة العلميّة ومفتقرة للدّقة الإجرائيّة التي كثيراً ما شدّدت عليها المقاربات البنيويّة والشّكلانيّة في أوج

1- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، ترجمة عبد الحليم النّجار، القاهرة، دار المعارف، الطّبعة الخامسة، 1977، ج6، ص1.

شهرتها، لغلبة التّداعيات على التّنال الانطباعي وللتّزوع إلى أسلوب المراكمة الذي يغيب معه الالتزام بمجال التخصص، بما يوحي بالخلط بين ما هو من مجالات التّاريخ العام والدراسات النّفسيّة والاجتماعيّة وما هو من صميم تاريخ الأدب.

والشّكلانيون الروس هم أول من سعوا لرفع اللبس بين التّاريخ الاجتماعيّ والتّاريخ الأدبيّ مقاومين التوهّم بأنّه يمكن تفسير التّنوع الأدبيّ عبر قوانين التّحول الاجتماعيّ. وحاولوا ضبط موضوع تاريخ الأدب وتمييزه عن غيره من الدراسات الأدبيّة. وقد رأى تزييفان تودوروف في هذا السّياق بضرورة تمييز موضوعه عن أيّ اختصاص يمكن أن يتلامس معه أو يغطّي عليه في الغالب<sup>1</sup>. فالموضوع الخاصّ لتاريخ الأدب هو التّنوع الأدبيّ الذي يقتضي تمييزه عمّا يمكن إنمائه إلى حقول أخرى مثل الدراسات النّفسيّة أو الاجتماعيّة.

ونحن في مقالنا هذا نسعى إلى الإحاطة بمجهود أبي القاسم محمّد كزّو في التّاريخ لحياة أبي القاسم الشّابي، وهو مجهود لا يخضع بالضرورة إلى مثل هذه المصادرات وإنّما يختصّ بفرادة معيّنة جعلته جديرا بالدراسة. وقد تخيرنا من مؤلّفاته كتابا ختم به مسيرته الفكرية والأدبية بعنوان "الشّابي.. أبحاث ووثائق وصور"، ويتكوّن من جزئين نظّم فيهما جملة من المقالات والوثائق التي مثلت عصارة ما جمعه وما كتبه حول الشّابي أعواما طوالا. وقد حاولنا أن نبحت عن الخيط النّاطم بين هذه المقالات والوثائق نظرا لأهمّيتهما وطرقتها حتّى نتبيّن منهجه الفكريّ والمنطق الذي اعتمده في تناولها وترتيبها وحتّى نستشفّ مقاصده المعلنة والضمنيّة. ذلك أنّ التّزعات الحديثة في فهم الأدب مثلما رأى حسين الواد<sup>2</sup> تنطلق من التّساؤل عن الأسباب التي دعت الباحثين إلى اصطفاء نصوص بعينها وعن المقاييس التي انتخبوها بها وتوجّوها أدبا، وما يكمن وراء انتخابها من معايير جماليّة قد يتبنّاها إنسان بعينه ويستبعدها إنسان آخر.

وقد انتبه أبو القاسم محمّد كزّو في تقديرنا إلى أنّ مقارنة حياة المبدع تتجاوز التقنين الذي يحوّله إلى عينة للتّشريح والتحليل، فهو كيان تتفاعل معه وتلقّى إبداعه بصفة خاصّة. وهذا ما حدا به أن يُصبغ كتابته في تاريخ الأدب بصبغة سردية تتجاوز محاكاة الوقائع والأحداث المحيطة بالشّاعر إلى تمثيلها ومن ثمّة تأويلها. ولعل وجوده في نفس الحقبة التي عاش فيها أبو القاسم الشّابي وتلامسه مع مختلف الوضعيات التي اختبرها جعله ينخرط في تلك الحياة ويعتبر نفسه علامة عليها أو لنقل جزءا منها.

## 2- إنشاء حياة:

رفع أبو القاسم محمّد كزّو أبا القاسم الشّابي إلى مصافّ الأبطال، والأبطال في أعراف السّرد التاريخيّة والقوميّة جديرون بأن تعدّد أعمالهم وتخلّد آثارهم تخليدا ملحميا<sup>3</sup>. وهم في ذلك محتاجون إلى من يقوم بإعادة بناء هذه الحياة، وهي لعمرى مهمّة تتجاوز التّاريخ الصّرف إلى التّمثيل الذي لا يخلو من السّعي إلى إعادة إنشاء تلك الحياة إنشاءً جمالياً. فكلّ ما يختصّ بالأدب منفلت عن "علم الماضي" لأنّه فنّ التّمثيل

1- Tzevetan Todorov « L'histoire de la littérature » in. Langue française, Année 1970, Numéro7, p14.

2- حسين الود، في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج، تونس، دار المعرفة للنّشر، 1980، ص 15.

3- بسمة بن سليمان، الهوية السردية للبطل، تونس، الدار التونسية للكتاب، 2020، ص 14.

وأعمال الأدباء ليست كأعمال الجنرالات مثلما رأى جان طوماس نوردمان<sup>1</sup>، وبالتالي فإنّ الكتابة في تاريخ الأدب لا محالة منساقفة إلى هذا التّمثيل، لأنّ مؤرّخ الأدب يتلقّى كلّ ما يحيط بالأديب وأدبه تلقياً جمالياً باعتبارها قارئاً تختلط ذاته مع المقروء وتنفع به.

وهذا ما جعل أبا القاسم محمّد كرو أن يتمثّل حياة الشّابي باعتبارها قصّة ومغامرة بطوليّة خالدة "رغم كل الآلام والجراح والمحن التي أحاطت بها"<sup>2</sup>. ومع هذا التّمثّل سعى قدر الإمكان أن يستدلّ على صحّة طرحه بتوخّي الدقّة والأمانة في نقل تفاصيل حياة الشّاعر معتمداً تقنيات تجمع بين متعة السرد وصرامة التوثيق. إذ أكّد بطرق عديدة أنّه شاهد على تلك الحياة معاش لها عن قرب. ومبدأ الشّهادة Le temoignage<sup>3</sup> أساسي لمؤرّخ الأدب لما يحتمله من طابع استدلاليّ حجاجيّ. إذ نراه في هذا الإطار حريصاً على الالتزام بمبادئ عدّة، من أبرزها تحديد العلاقة بين أبي القاسم الشّابي والمجتمع التّونسيّ ومناقشة كلّ الأفكار التي تناولت أعماله الشّعريّة والأدبيّة.

وبهذه الطريقة سعى إلى إيضاح كلّ المسائل الخارجيّة الحافّة بحياة الشّاعر، قدر اقترابه من شغاف تلك الحياة، حتّى يمكّن دارس الأدب من معطيات وسندات تساعد على التّوصيف والتحليل والتّأويل. فاعتبر أنّ شاعر الخضراء هو علامة فارقة ومخصبة للثقافة التّونسيّة خصوصاً والعربيّة عموماً، وأكّد أنّ الكتابة في تاريخ الأدب التونسي ضروريّة لهضبة الثقافة العربيّة بصفة شاملة، مشيراً إلى انحياز مؤرّخي الأدب العربيّ إلى تاريخ الأسرة الحاكمة التي تولّت الحكم في الشّرق العربيّ وكذلك في الأندلس، بما يدلّ على إهمال للشّمال الإفريقيّ بداية من مراكش وانتهاء إلى مصر الغربيّة<sup>4</sup>. فجهوده من تنظير وتوثيق وتجميع صبّت برمتها في استعادة توازن ضروريّ وتفادي خلل حاصل.

وهذا الأمر لا يتحقّق في تقديره إلاّ بالوقوف على مواطن الخلل في مسألة التّحقيب الأدبيّ، والنّظريّة الأدبيّة تطرح في عمومها مسألة التّحقيب ليس من جهة موضوع البحث فقط بل ومن جهة الباحثين ذواتهم أيضاً، وذلك بطرح أسئلة شبيهة بالتي طرحها جان لويس بحثاً عن إيقاعات التّاريخ الأدبي وهي من قبيل "إلى أيّ قرن ينتمون وإلى أيّ مجتمع عالم ينتسبون؟"<sup>5</sup>. فمؤرّخ الأدب لا يتجرّد من انتمائه إلى عصر معرفيّ ما، وهو محتاج أن يقيس المدروس وفق ما توقّر في محيطه من معطيات تقرّبه من مادّة البحث.

1- Jean —Thomas Nordmann « Pierre Citti, Contre la décadence —Histoire de l'imaginaire dans le roman, 1890 -1914 » in. Romantisme / Année 1983/ Numéro 63 / pp121-131.

2- أبو القاسم محمّد كرو، الشّابي (أبحاث-وثائق-صور)، تونس، المركز الوطني للاتّصال الثّقافي، 2009، ج1، ص 87.

3- Sylvain Doussot « Récit preuve et témoignage : argumenter en histoire à l'école » in. Cahiers de narratologie, analyse et théorie narratives.

4- أبو القاسم محمّد كرو، الشّابي (أبحاث-وثائق-صور)، تونس، المركز الوطني للاتّصال الثّقافي، 2010، ج2، ص 48.

5- Jean Louis Backhès « Les différents rythmes de l'histoire littéraires » in. Littérature et nation histoire littéraire, 1991, Publication de l'université François-Rabelais, Tours, p3.

ولعلّ هذا ما حفّز أبا القاسم محمّد كرزو للسعي أن يخصّ الأدب التّونسيّ المعاصر بتحقيق خاص<sup>1</sup>، جاعلا أبا القاسم الشّابّي واسطة العقود الزمنية فيه، فقد اعتبره قمة شعريّة شامخة بل "أكبر عملاق من بين شعرائها جميعا"<sup>2</sup>. والأهمّ من ذلك، إجرائيا لا إنشائيا، أنّه حاول استخراج زبدة ما تمخّضت عنه الاتّجاهات الفكرية السابقة له، تلك التي سلكها مؤرّخو الأدب العربي<sup>3</sup>، فتنقلّ بين فروع هذا التّخصّص مقتفيا أثر البلبل الغرّيد أبي القاسم الشّابّي، ليدلي بدلوه في كلّ فرع.

وقد رأينا أن نستثمر أبحاثه ووثائقه وصوره المدرجة في مؤلّفه هذا، مصنّفين إيّاها على هوى فرع من فروع ثلاثة سنتناولها في العنوان الموالي، أولها يتعلّق بالحقبة الزمنية التي عاش فيها الشّابّي، وبكلّ ما حفّ بعصره من أحداث وملابسات وظروف. وثانيها مرتبط بالأجناس الأدبية والأنواع الكتابية التي أجرى فيها قلمه. وثالثها متعلّق بالنهج الدّفاعي الذي سلكه أبو القاسم محمّد كرزو لتثبيت منزلة الشّاعر وتصحيح ما داخلها من أفكار مغلّوطة.

### 3- سرديّة العرفان:

ولقد جمعنا هذه الفروع تحت عنوان موحد أسميناه سرديّة العرفان. لأنّ العرفان هو النّازع الغالب على أبي القاسم محمّد كرزو وهو ينشئ قصة الشّابّي ويعيد نسجها. ففي الفرع الأوّل من فروع الكلام نراه يعقد صلة بين قصة الشّابّي وقصة تونس في تاريخها المعاصر، بين قصة الشّاعر الفذّ وروح الشعب العظيم. وفي الفرع الثّاني من فروع الكلام، نراه يتصفّح بنهم شديد كلّ ما وقع بين يديه من أوراق الشّابّي ومخطوطاته، متفحصا دقائقها، مترويا في استكناهها بواطنها، معيدا الاعتبار لما أهمل منها، مؤكّدا على أنّ الشّابّي هو أديب شامل لا يقلّ نثره أهميّة عن شعره، مشدّدا على حفظ الوصية والأمانة. أمّا الفرع الثّالث من فروع الكلام فقد سخّر فيه كلّ وسائله الدّفاعية من منطق وحرّة وحرارة مشاعر للدّفاع عن منزلة الشّابّي، جاعلا من نفسه رفيقا للبلبل حاضرا حين يغيب ومعاضدا له حين يُرمى بسهام العدّل.

### 3-1- قصة الشّابّي، قصة شعب:

يعقد أبو القاسم محمّد كرزو صلة متينة بين قصة الشّابّي وقصة تونس الحديثة وشعبها، معلّلا ذلك بأنّه منذ أن عُرف الشّابّي ارتفع سهم تونس. لذلك فهو بطل هذه القصة بامتياز، وتكمن أهمية الشّابّي في التّفوّق والتّبوغ والشّاعرية والإحساس، ناعتا إيّاه بأنّه "شاعر الحبّ والحرية"<sup>4</sup>. ونراه في المقام الأوّل يولي أهمية للشّاعر قبل الخوض في أعماله الشعريّة أو التّركيز على تصنيفها تصنيفا مدرسيا، مثلما فعل غيره

1- انظر، المصدر، ج1، ص 28. يقول في هذا الإطار: "وإذا استثنينا المجهود العظيم الذي قام به الأستاذ زين العابدين السنوسي في كتابه الأدب التّونسيّ فإنّنا لا نجد أيّ كتاب يدلّنا على تاريخ أدبنا الحديث، وخاصة الشّع ومدى تطوّره..وتجعل تاريخ شعبه الأدبيّ كاملا بين يديه."

2- انظر، المصدر، ج2، ص 58.

3- انظر، العربي بن علي بن نائر "منهجيّات التّاريخ للأدب العربيّ من القصور والصبّابية إلى الوعود الخصبة" موقع المنهل، ص 10-6 <https://platform.almanhal.com/Files/2/56784>

4- المصدر، ج1، ص 41.



من النّقاد الذين اهتمّوا أولاً وأخيراً بإنماء شعر أبي القاسم الشّاتيّ إلى المدرسة الرومنطقيّة. وذلك لأنّه مصدر العمليّة الإبداعية أولاً ولأنّه صاحب رسالة شعريّة لا يمكن فصلها عن بعدها الشّعبي والوطنيّ ثانياً. ولأنّ الوطن هو قبل كلّ شيء رقعة من الأرض، فإنّ بطل القصّة يتعلّق بتلك الأرض التي تستحقّ الحياة، يجول فيها ويصنع خيراً. فتربطه بالأمكنة صلة خاصّة. وكأنّنا بأبي القاسم محمّد كرو يحوّل شاعره إلى قدّيس يقتضي الكلام عنه إثبات سياحته وتنقلاته عبر الأمكنة إثباتاً هاجيوغرافياً Hagéographique<sup>1</sup>. إذ أفاض في الحديث عن صلة الشّاتيّ بالأمكنة، تعبيرا عن أصالة الانتماء وحنيا وتخليداً. فبرّ المكان لا يقلّ أهميّة عن برّ الوالد.

ولذلك نراه يولي أهميّة خاصّة لخارطة الأمكنة شمالاً وعاصمة وجنوباً، متتبّعاً تنقّلات الشّاعر والطّرق التي سلكها، منتهزاً الفرصة لتكريم مدينة قفصة<sup>2</sup>، مذكّراً بأنّها أوّل المدن التي أقام فيها وبأنّها طريق مروره إلى شابّة توزر، معتبراً أنّ المرور يعادل بل يفوق عدد مرّات الإقامة.

غير أنّ قصّة القدّيس في محراب الشّعرا لا تنفصل أيضاً عن الزّمان، ممّا حدا بأبي القاسم محمّد كرو أن لا يغفل البعد البيوغرافيّ في مقالاته وأبحاثه حول الشّاتيّ. فزمانه يختلف عن كلّ الأزمنة، لأنّه مرتبط بمعاني التّأسيس والكفاح. وهذا ما جعله يتقصّى أحداثاً ميّزت تاريخ تونس في الرّبع الأوّل من القرن العشرين، أي طيلة حياة الشّاتيّ القصيرة مواصلاً أبحاثه بعد وفاة الشّاعر ليمنحه بفكره وقلمه حياة ممكنة بعد الحياة الفعلية.

وهنا تعترض الباحث معضلة الفصل بين ما هو من صميم التّاريخ وما هو من صميم التّخييل. وهذا ما يؤكّد تجاوزه لمفهوم الميميزيس باعتباره محاكاة إلى كونه تمثيلاً، معيدا تعريف علاقة الشّاعر بالعالم مستثمراً المعطيات المتوقّرة حول حضوره المرجعيّ فيه<sup>3</sup>. ولعلّه بهذا التمشّي سعى أن يعمّق مجرى وجوده في العالم، من خلال إبراز وطنيته ليجعلها نهراً من العطاء فاض على الإنسانية جمعاء، معتبراً أنّ إحساس الشّاتيّ بأمال شعبه وأحلامه وتعبيره عنهما "ليس من ذلك النوع السّطحيّ الذي كانت تتّجه إليه قرائح الشّعراء الآخرين المعاصرين له والسّاكنين معه في نفس البلاد والبيئة الاجتماعيّة والطّبيعيّة"<sup>4</sup>، مستدلاً على ذلك بما حفّ بحياته من ظروف، متوقّفاً عند محطاتها المهمّة في صلتها بالسّياق الشّعبي والوطني والقومي والكوني.

وقد تجلّى البعد الوطنيّ أيضاً، عند سرده لقصّة الشّاعر، في إيلائه أهميّة للظرف السّياسي العام وللمناخ الفكريّ والوسط المدرسيّ، وللروح الرّيتونية والأثر الزيتونيّ بالخصوص. ويظهر ذلك من خلال حديثه عن الطّلبة الوافدين من الآفاق، وعن الغبن الذي كان يشعروهم به المشايخ "البلديّة" الذين طالما تعالوا عنهم

1- Michel De Certeau « Hagographie » in. Encyclopaedia Universalis, 1990, Editeur à Paris, France, p 164.

2- أبو القاسم محمّد كرو، المصدر، ج 1، ص ص 36-37.

3- Gabrielle Napoli, La representation de l'écrivain face à l'histoire dans les récits d'Antonio Tabucchi et Imre Kertész : une littérature responsable, pp7-31, Hall archives ouvertes.fr, tel.archives-ouvertes.fr

4- المصدر، ج 2، ص 86.

وتصرّفوا معهم بغلظة وصلف. على عكس الشيوخ الوافدين من الدّاخل كالشّيخ النّخلي الذي كان الشّابّي يعبر عن احترامه له باعتباره الأبلغ مكانة والأرفع دعوة للإصلاح.

ولذلك فإنّ كلامه عن المناخ العامّ لا يخلو من استحضار الأعلام المميّزين لحقبة الشّاعر، كأعلام الحركة الوطنيّة من قبيل عبد العزيز الثعالبي وسليمان بن سليمان. كما أنّه نفى صلات أبي القاسم الشّابّي بجماعة تحت السّور، وأثبت تواصله مع محمد صالح المهدي ومصطفى خريف. معبرا عن موقف أخلاقي من جماعة تحت السور إذ قال إنّهم "كانوا بوهيميين في حياتهم ومجالسهم فيتناولون الخمر والحشيش، وبينهم من يمارس الشذوذ. والشّابّي كان في منتهى الصرامة مع نفسه من كل هذا"<sup>1</sup>. وقد أشار أيضا إلى أنّ علاقة الشّابّي مع الطاهر الحدّاد لا تخرج عن علاقة المعاصرة والمناصرة لقضيّة المرأة، تماما مثلما ناصر حركة محمّد علي الحامّي العماليّة.

وكلامه عن المناخ العامّ لم يخل من وصف للملابسات والظّروف التي أحاطت بتقديم محاضراته ومن رصد لأصدائها ودرجة الإقبال عليها، كمحاضراته عن الخيال الشعريّ عند العرب في مقرّ الجمعيّة الخلدونيّة باسم قدماء الصّادقيّة، وكمحاضرة أخرى لم يحضر إليها أحد. ويبدو دوره مؤرّخا للأدب مختلفا عن دور الناقد والمحلّل، فقد تفادى أن يخوض في محاضرة الشّابّي عن الخيال الشعريّ عند العرب متجنّبا التّصريح بموقفه الشّخصيّ منها.

ولذلك نراه يكتفي بذكر بعض التّفاصيل عنها من قبيل أنّه حوّلها إلى كتاب وأهداها لوالده وطبعها في حياته، معرّفا إياها بأنّها بيان سياسيّ وشعريّ وتنظيريّ له منزلته من المدوّنة النقديّة التّونسيّة قديمها وحديثها بعد العمدة لابن رشيق والخيال في الشعر العربيّ لمحمد الخضر حسين ومحاضرة الشاذلي خزندار عن الشعر. وفي ذلك تأصيل عامّ لحركة نقد الشّعريّ في التّاريخ الأدبيّ التّونسيّ عبر الاهتمام بضبط المحطات الكبرى في مسيرة نقديّة تونسية خالصة تؤكّد عظمة هذا الشّعب وتاريخه المشرق وفق تقديره.

### 3-2- قصة الشّابّي، قصّة أدب:

لئن كان التّاريخ يعيد بناء الأحداث فإنّ الأدب يبنيها بناء جماليا، ولذلك فإنّ الوجهة الجماليّة للأدب تعاكس تماما الوجهة العلميّة للتّاريخ. والسؤال المطروح هنا كيف وفق أبو القاسم محمّد كرو في تجاوز هذه العلاقة المركّبة بين التّاريخ والأدب ببناء قصّة الأدب بناء يخضع لقوانين كتابة تاريخ الأدب؟ فتلك الكتابة تستخدم نماذج متعدّدة للسرد ولكنّها من المفترض أن تتحقّق على استثمار جماليات اللّغة باعتبارها مادّة للتّخييل لا للتّسجيل المحايد.

خاصّة وأنّ قصّة الأدب وتناميته ونضجه مسلك ثان من مسالك سرديّة العرفان مثلما أسميناها، فقد رصد أبو القاسم محمّد كرو مراحل تشكّل قريحة أبي القاسم الشّابّي بالعودة إلى غث النّصوص وسميها، وبترتيب القصائد من الأقدم الى الأحدث. والترتيب هاجس مؤرّخ الأدب الحريص على الدقّة والمصدقيّة

1- المصدر، ج1، ص 99.



باعتماد ما ندر من المخطوطات والوثائق والصّور والرّسوم، تلك الّتي خصّص لها جزءاً هاماً من كتابه<sup>1</sup>. وقد ساعده مبدأ الأرشفة والعمل على مسودّات الشّاعر والوثائق المبعثرة أن يلمّ بدقائق تلك الحياة الأدبيّة الزّاحرة على قصرها، ممّا أهله أن يرى من أدب الشّابّي ما لم تره عين أخرى، وأن يلامس شغاف إبداعه ويتقصى مسالكه الدّقيقة والمنفلّته ويتلقّاها تلقّياً خاصّاً مكّنه من أن يقوم بحبك تلك القصّة الأدبيّة الفريدة ويكون سيّد روايتها. وكأنّنا به ذلك الفخّاري الذي يضع يده على إناء الطّين فيحفظ المادّة ولكنّه ينوّع في تشكيلها<sup>2</sup>. ونراه حريصاً في عمله هذا أن يرصد كلّ الأنواع الكتابيّة الّتي نظّم فيها الشّابّي ونثر متحفها القراء بما جمعه من نصوص منقولة أو مكتوبة بخطّ يده.

وهو في ذلك السّعي لم يكن ملتزماً بالحفاظ على آثار الشّابّي فقط بل معبّراً أيضاً عن نيّة في الحفاظ على أرشيف الأمتة أيضاً، لأنّه كان على اقتناع تامّ بأهميّة التنوّع الأدبيّ الّذي أضافه الشّابّي لذلك الأرشيف. حتّى أنّه اعتنى بتصنيف كلّ فروع الأدب الّتي أدلى فيها أبو القاسم الشّابّي بدلوه من شعر ونثر ورسائل ومحاضرات ومذكرات، مستشهداً على كلّ فرع من الفروع بنصوص فارقة ساعد الحفاظ عليها في إغناء رصيد الشّاعر وأسهم في منحه صفة الأديب والمفكّر الشّامل الّذي أخذ من كلّ شيء بطرف.

وتكمن عبقرية أبي القاسم محمد كزّو في بحثه عن الخيط النّازم لكلّ المتفرّقات من كتابات الشّابّي حتّى يجعل منها مدوّنة منسجمة تفصح عن مشروع أدبيّ عظيم، قوامه التّجديد ومحرك الإبداع فيه هو التعلّق بالشّعب. فمثلما كانت قصّة الشّابّي لا تنفصل عن قصّة الشّعب فإنّ قصّة أدبه لا تنفصل عن "روح الشّعب"، وهذه العبارة هي في الحقيقة المفتاح الّذي يفتح خزائن إبداعه ويكشف عن أسراره الدّفينيّة.

إذن فقد أدرك بفطرته السليمة أنّ الشّعبيّ أو المتأصّل في وجدان الشّعب هو الأساس الذي بنى عليه الشّابّي تجديده للغة والفكر، إذ أخرجها من جمودها وجعلها من صميم البلاغة الحيّة حين نفخ فيها من روح الشّعب وجنّتها ما تأكله التّقليد والتّكرار الأجوّف، بما منحها صدقاً وبساطة ضمناً الطّرافة والجدة. وقد استشهد في هذا السّياق بعبارة أوردها على لسان الشّابّي في حوار من حواراته وهي: "لا يا صاحبي ليست العلة في روح الشّعب"<sup>3</sup>، وأورد هذا الشّاهد لدعم نظريّته الّتي نفحت رومنطقيّة الشّابّي بخصيصيّة شعبيّة، إذ اعتبرها رومنطقيّة تونسيّة. لأنّ بلاغة الشّابّي تجنّبت الوقوع في الجمود لا تصّاله بما هو شعبيّ أو من روح الشّعب، معتبراً أنّ الأدب الشّعبيّ أبلغ من أدب الفصحاء لأنّ الاهتمام بالعادي واليومي هو الذي يصنع التمييز والفرادة.

والوعي بضرورة التّجديد في عرف أبي القاسم محمد كزّو ليس انزياحاً عن الاتّباع والإحياء في مستوى الأغراض والموضوعات فقط بل هو متأصّل أيضاً في أديم التّربة الشّعبيّة لضمان الطّرافة اللّغويّة، وبذلك

1- المصدر، ج 2، ص ص 147-192.

2- Marie Blaise «Histoire et littérature : Plaidoyer pour la main du potier sur le vase de l'argile » in. Revue Française, 2017, Volume 53, Numéro 3, pp127-151.

3- المصدر، ج 1، ص 61.

تحافظ الفصحى على حيوتها لأن اللغة تضمن حياتها حين تتصل بواقع التداول اليومي، وهو في خضم هذا يبحث عن أثر فرادة تليق بمكانة الشابي ومنزلته من نفسه وذاكرته.

حتى أنه لم يفصل هذه الفرادة عما هو أصيل في أدب الشابي، لأنه عاد إلى بداياته المنغرسه في أديم الأصالة والتقليد. فاهتم بنظم الشابي في غرض الرثاء معتبرا ذلك من زخم البدايات، ناهيك وأنه الغرض الوحيد الذي خصه الشابي بقصائد رغم تخليه عن الالتزام بالمقاربة الأغراضية التقليدية واستبدالها بمبدأ الالتزام بقضية، قضية شعب ووطن وإنسان. وهذا ما يبرر اهتمام أبي القاسم محمد كرو بالقصائد الرثائية التي نظمها أبو القاسم الشابي بزا بآبيه واحتراما لذكراه ووفاء للشيخ قاسم النخلي الذي أبته بقصيدة عنوانها "دمعة أرسلتها عين الضمير"<sup>1</sup>. وهو بذلك حريص أن يقف في كل محطة من محطات قصة الشابي الأدبية حتى يسجل في قائمة الوفاء والعرفان أهم من لاقاهم أو ودعهم.

ومن المحطات التي حرص كرو أن يقف فيها محطة النثر ومحطة المذكرات بالخصوص، فأكد على امتيازها بالصراحة والمصداقية وبرز ذلك بأن الشابي كتبها لعدم النشر. ثم وصفها بأنها الأولى والأخيرة في تونس قائلا: "لا نكاد نعرف تونس وما كان يتهددها من أخطار لو لم تكتب هذه المذكرات"<sup>2</sup>. كما أكد أن الشابي الناثر وال كاتب لا يكاد يعرفه إلا قلة من النقاد والباحثين، متفطنا إلى أن الآثار النثرية تمثل جانبا هاما من أدبه إذ تُعادل صفحات ديوانه بل وتزيد عليه، وهذا ما يبرر اهتمامه الخاص برسائل الشابي وخاصة تلك التي تبادلها مع الحليوي.

### 3-3- قصة الشابي، قصة حمية و غضب:

ولعل محطة الرسائل هي التي تنقلنا إلى المسلك الأخير من مسالك سردية العرفان التي وسمناها بقصة الحمية والغضب. ذلك أن الرسائل لم تكن من الشابي واليه فقط بل كانت في صيغة بحوث عنه أيضا. ومبدأ التراسل هام في التوثيق، وتظهر صرامة العمل البحثي في اهتمام أبي القاسم محمد كرو بالهوامش والشروح. وهو عمل توثيقي ضخم اهتم فيه بجمع رسائل الشابي مع الحليوي والبشروش وأحمد زكي أبو شادي<sup>3</sup>، بطابعها الإخواني المعبر عن صدق المحبة والإخلاص وبأبعادها التواصلية الحجاجية، من خلال السجلات والمحاورات الأدبية.

في هذا المسلك من السردية انتهج كرو منهجا دفاعيا. فاهتم بمواقف النقاد من الشابي ومنزلته من النقد تونسيا وعربيا، مغربيا ومشرقيا. والحاجة إلى الدفاع في رأيه اقتضاها أولا كم الأخطاء والمغالطات التي وقع فيها النقاد المشاركة خاصة، وتلك الرغبة في هدم الشابي والتجديف عليه ثانيا. وهو في تصحيحه للأفكار المغلوطة ركز حديثه على الناقد المشركين عمر فروخ ومحمد الحليوي<sup>4</sup>، إذ استنكر أخطاء فروخ

1- المصدر، ج1، ص 73.

2- المصدر، ج1، ص 119.

3- المصدر، ج1، ص 126.

4- المصدر، ج1، ص ص75-81.

الجسيمة التي اعتبرها تشويهاً لحقيقة الشَّابِّي وأدبه حين أحاطه بالأوهام والأخطاء والغموض. واستهجن كذلك إنكار الحليوي لإشعاع الشابي خارج تونس فقد اعتبر أنّ هذا الأخير لم يكثرث لعنصر التّدوّق. وعبر عموماً عن استنكاره لمحاولات هدم الشَّابِّي والتجديف عليه حتّى أخذه الحماس فرأى أنّ في ذلك سعياً لهدم لتونس<sup>1</sup>، بما يؤكّد أنّ ملامح الشابي مثلما رسمها أبو القاسم محمد كزّو هي بوسع خارطة الوطن، فهو ذلك الشاعر الأرض أو لنقل الشاعر الوطن.

ونراه في باب آخر حريصاً على مبدأ أخلاقيّ في التّعامل مع آثار الشَّابِّي وهو احترام الوصيّة بالتمييز بين ما يجب نشره وما لا يجب نشره أصلاً. لأنّه هو الذي يختار ولا يجب أن يُختار له<sup>2</sup>. ذلك أنّ الشَّابِّي ظلّ بعد موته رمزا ومرجعاً يستند إليه المبدعون العرب ويتفاعلون، ولئن استهان عدد منهم بعبقريته فإنّ عدداً آخر نهل منها وانطلق للتّحليق في سماء الشّعريّة.

ويذكر أنّ من أهمّ المتأثرين بأبي القاسم الشَّابِّي البيّاتي وكذلك نازك الملائكة في ديوانها "عاشقة اللّيل"، فقد أبرز أبو القاسم محمد كزّو تأثر نازك الملائكة بشعريّة أبي القاسم الشَّابِّي واستلهاها منها، متوسّلاً في البرهنة على ذلك التّأثر بمنهج مقارنيّ للوقوف على مواطنه، من خلال إبراز التّشابه بين عناوين القصائد من قبيل ذلك التّشابه بين قصيدتي "في ظلّ وادي الموت" للشَّابِّي و"بين فكّي الموت" لنازك الملائكة ولا سيّما في ثنايا التّعبير والصّور الشّعريّة<sup>3</sup>. ومنهجه المقارني طغى عليه البعد التّوثيقيّ لا التّحليلي، إمعاناً في إبراز تفاصيل قصّة العبقرية وأصدائها معتبراً أنّ روح الشابي الشّعريّة تسري في أجواء قصائد نازك وتختلط بأنفاسها اللاهثة.

#### 4- ألم النسيان:

ولعلّ هاجس التّصحيح والتّصويب وذلك النّفس الدّفاعي هما أبرز ما ميّز كتابات أبي القاسم محمد كزّو حول الشَّابِّي، تلك التي حاول أن يجمع خلاصتها في الكتاب الذي بين أيدينا حفظاً لذكراه من النسيان. ديدنه في ذلك الرّفص والانصراف عمّن قام بمعاداته مُشهرها في كلّ مناسبة أسلحته الحجاجيّة مُعدّاً للخصوم ما استطاع من وثائق وأدلة لخوض السّجال ودحض المزاعم. خاصّة في مواجهة خصوم في الدّاخل ومغالطاتهم ونكراهم. يحركه في ذلك شعور خاصّ بتلازم المصير بينه وبين الشَّابِّي. فنراه يتألّم لنسيان الشاعر مرّة ويشعر بالمرارة لإنكار مجهوده هو ذاته مرّة أخرى.

#### 4-1 نسيان الشاعر:

لا نغالي إن قلنا أنّ ما قضاه أبو القاسم محمد كزّو في الكتابة عن الشَّابِّي هو أطول من عمر الشَّابِّي نفسه، فقد منحه عمراً على عمر وسعى إلى تشكيل هويّته عبر سردية خاصّة لا تكتفي بما منحته الحياة إيّاه أو بما أظهره هو عن نفسه. والمحرّك الأساسي لهذه السردية هو شعور عميق بالألم مخلوط بعاطفة

1- المصدر، ج1، ص 147.

2- المصدر، ج1، ص 113.

3- المصدر، ج1، ص ص 89-90.

قوميّة تسعى إلى إنصاف وطنه تونس والمغرب العربيّ عموماً، فكثيراً ما تعلق ببعث تونس معتبراً أنّ هذا البعث لا يتحقّق إلاّ بتخليد شاعر، هذا الشّاعر، وإن رُمس، منتفض من تُربه من جديد مع كلّ جرّة قلم. وقد حزّ في نفسه حقّاً أنّ شعراء تونس يموتون تباعاً وتموت آثارهم بعد موتهم وتظلّ مقبورة مجهولة حتّى وهم على قيد الحياة<sup>1</sup>. فمن محقّرات الكتابة عنده إذن هو الوفاء للذّات التّونسية، ذلك الوفاء يُعدّ أقوى أسلحته التي قاوم بها آفة النّسيان. إذ تحدّث بألم عن التّجارب القاسية التي أظهرت تقصير الأحياء في حقّ الأموات، وتقصيرهم في حقّ أنفسهم وهم بذلك يتحملون مسؤوليات متعددة. وبالتالي فإنّ المحرك الأساسيّ لسردية العرفان عند أبي القاسم محمّد كزّو هو ألم النّسيان أو قل آفته.

وهو، حين دقّ ناقوس الخطر، أضفى قيمة على مشروعه، لأنّ الوفاء للأصل هو أكثر ما يمنح المشاريع الفكرية قيمة. والمسكوت عنه في هذا المشروع هو شعوره بالغبن في أوقات ومناسبات كان من المفروض أن يكون حاضراً فيها، ولكن وقع تجاهله رغم كرمه الفكريّ وتجردّه من الأنانيّة ونكرانه ذاته وإيثاره الغير. هذا الغير هو من صميم محلّيته التّونسيّة، رغم التزامه العروبيّ. فهو ملتزم برفع غبار الإهمال عنه، في مسار تصحيحيّ تدقيقيّ يلقي أضواءً على ما أعتم من ظلاله لإبراز البصمة التّونسيّة الخاصّة وحمايتها من الدّوبان. ورغم إيثاره للغير فإنّ شعوره بالغبن والتّهميش طفا على السّطح، لأنّ دفاعه عن الشّابي هو في شكل من أشكاله دفاع عن اتّجاهه الكتابيّ وعن تخصّصه في تاريخ الأدب الذي هُمّش في فترة من الفترات في الجامعة التّونسيّة، وهذا قد يبرّر تسجيله في المرحلة التّحضيريّة للدكتورا في الجزائر وليس في تونس. إذن فقد توخّى تمشياً مزدوجاً حاول فيه الجمع بين تخليد ذكرى الشّابي والتّأكيد على أهميّة منهجه الفكريّ. ويجدر أن نشير إلى أنّ تعلقه به لم يمنعه من أن يعارض أفكاره في مواطن عدّة، ولكنّه تجرّد قدر الإمكان من ذاتيّته والتزم الموضوعيّة والأمانة لكي لا يطمس ألق الرّجل، فنراه مثلاً يقول في بعض المواضع متحقّظاً على موقف ما: "لا يعني هذا أنني أوافقك"<sup>2</sup>، ومع ذلك فهو يستبعد موقفه الشّخصيّ ويتجنّب الخوض فيه، فيؤكّد أنّه قدّم كتابه هذا احتراماً للشّابي وعصره.

#### 4-2- نسيان الذّات كآخر:

تحتلّ الذاكرة حيّزاً هاماً عند طرح السّؤال حول العلاقة بين التّاريخ والأدب. فالمؤرّخ يقول ما لا يمكن للكاتب أن يقوله ومن هنا تطرح مسألة ذاتية الذاكرة<sup>3</sup>، ومن صميم هذه الدّاتيّة تكون فرادة نقل تفاصيل حياة ما نقلاً يستعين باللّغة ويسكن إليها.

ومع ما سبق من حرص على التجردّ فإنّ ذات أبي القاسم محمّد كزّو كانت تطفو على السّطح من حين إلى آخر، ليجمع الشّعور على الشّعور والفكر على الفكر والتّرجيّي على السّير ذاتي، محتفياً بذكر الأمكنة

1- المصدر، ج 1، ص 29.

2- المصدر، ج 1، ص 117.

3 - Dimitri Julien « Ecrire dans l'histoire, écrire avec l'histoire » in. Acta fabula, Fevrier 2017, Volume 18,

Numéro 2, p3. <https://www.fabula.org/acta/document10069.php>

التي انتقل إليها انتقال الشَّابِّي إليها، مثل توزر وأريانة وغيرها من الأماكن فيقول: "ثم شاءت الأقدار أن أسافر إلى توزر، أنتقل مع شقيقي"، ويتحدّث عن أريانة فيقول: "عشت فيها وعاش فيها الشَّابِّي"<sup>1</sup>. حتّى أنّ اختلاط الذات بالآخر قد تجلّى أيضا على صعيد الخطاب من خلال طريقة توظيفه للضمائر، فنراه يتكلّم عن نفسه بضمير الغيبة في مواضع بعينها في نبرة تواضع وعتاب إذ يقول: "قد بيّنها بالخرِطة والأسماء والعلامات ابن من أبناء قفصة منذ عام 1952، عندما أصدر عنه أول كتاب في التَّاريخ بجميع اللِّغات وفي جميع البلدان. وهذا الكتاب هو "الشَّابِّي، حياته وشعره" الذي طبع حتّى الآن أكثر من عشرين طبعة"<sup>2</sup>. ويحضر ضمير المتكلّم المفرد أو الجمع أيضا في سياقات التأكيد والإعلان خاصّة، حين يقول مثلا: "بل حدّرت من هذا" أو "وكان لنا شرف التّقديم لها" أو "أضفنا" أو "منهجنا واختياراتنا وتوجّهاتنا". ونكاد نجزم أنّ استخدامه للمتكلّم الجمع فيه فخر مخلوط بالألم، يسعى من خلاله أن يدرأ النسيان والإنكار عن ذاته العمول المثابرة.

وتتحدّذ الذات مع الآخر لفرض الحضور رغم الغياب حين يتدخّل في خيارات الشَّابِّي الشخصية فيتألّم لزواجه رغم مرضه ويعتبره خيارا خاطئا، متمنيا لو أحجم عن ذلك الخيار ليمنح عمرا آخر. كما يبدي تدخلا في خياراته الفكرية فيتمنى لو أنّ آراءه لم تكن بمثل تلك القسوة فيما يتعلّق بالخيال الشعري عند العرب حتّى لا يقع فيما وقع فيه من نبذ وإقصاء.

وهو في هذا وذاك يجمع عقله الكلاسيكيّ على خيال أبي القاسم الشَّابِّي المُجدّد الخلاق جمعا لا يُقفر دراسته أو يحدّ من زخمها بل يغنيها ويفتحها على حدائق خلفية خصيبة وإن كانت غير ظاهرة. إذ يطوّع الشَّابِّي لرؤاه ومواقفه ويلبسه حلة من فكره ويجعله في جلبابه بقدر ما يسكن هو في جلباب الشَّابِّي. فهو قاريء مفارق متزاح لا يقبل منه تقليد الغرب ويتجنّب الحديث عن توجّهه الرومنطقيّ، مستبدلا إيّاه بمفهوم الطّبيعة في الشّعر، عاقدا ذلك على الالتزام الوطنيّ، إذ يقول: "الذين لم يروا سهول الوطن وجباله ومدنه وقراه، ولم ينتقلوا بين باديته وصحرائه، وسواحله وثغوره، ولم يتعرّفوا إلى كل شيء فيه من إنسان وغير إنسان، هؤلاء لا يحسّون بحبّ الوطن إحساس العارفين الجوّابيين"<sup>3</sup>. وكأنّنا به يشير إلى أنّ حركة الشَّابِّي التفاعلية عربية عربية، لا عربيّة غربيّة، وهي مستلهمة من تاريخ شعر الطبيعة في الثقافة الأندلسيّة أكثر من استلهامها من الغرب.

إذن فقد رأى من حقه أن يصوغ له حياة ممكنة من خلال سرديّة خاصّة، تؤمن بعبقريته ولكنها تسعى إلى تشكيلها مثلما تقبّلتها ذائقته وتفاعلت معها. فقد جمع الوفاء على الذّكاء حين انحاز إلى صرامة التوثيق دون أن يتزاح عن ذاته. يتماهي حيناً ويتقاطع حيناً آخر، يسكن مرّة وينفر أخرى. جامعا بين اتّجاهات ثلاثة للفاعل: ما فعله أي الإنجازات وما كان يجب أن يفعله أي المُمكنات وما ضيّعه القدر بموته أي المستحيلات.

1- المصدر، ج1، ص 38.

2- المصدر، ج1، ص ص36-37.

3- المصدر، ج2، ص 113.

فتأريخه لأدب الشَّابِّي لم يخل من ترجمة لمعتقداته فكرية مرسياً نظام عبور إلى تمثلاته حول الشَّاعر<sup>1</sup>، معتمدا الوثائق والنصوص مادّة لا يقف عندها مجرد وقوف للنقل والتوثيق والأرشفة وإنما يعتمد عليها لصناعة عالم أدبيّ ممكن وفق تقبله وتوقعاته وانتظاراته.

## 5- خاتمة:

نتهي إلى أنّ بصمته أبي القاسم محمّد كزّو بيّنة تظل صورة الشَّابي دونها منقوصة وغامضة وغير دقيقة فهو الأقرب إلى عالمه إنسانا وشاعرا. ولعلّ أهمّ ما يمكن الوقوف عنده في عمله هو أنّه التقى بشكل ما مع اهتمامات الأنثروبولوجيين، فقد أفاض في تقصي كيفية تشكّل الذاكرة الإبداعية لأبي القاسم الشَّابي. وفي عمله التقت ذاكرتان ذاكرة المبدع وذاكرة المؤرّخ الناقد بما تحمله من قدرة على التخزين والأرشفة. لأنّ الذاكرة الحافظة للشَّاعر لا تقلّ أهميّة عن الذاكرة الشَّاعرة، فهي تحافظ على رسم المسار الذي سلكه الشاعر عن طريق الترتيب وتجميع النصوص التفاعلية والتقدية والوثائق والصّور، وبالتالي فإنّ عمله وسائطيّ بامتياز أساسه الإبلاغ الذي لولاه لضاع الإبداع. وأملنا أن يتمّ حفظه في المستودعات الرقمية حتّى يستفيد منه أكبر عدد من الباحثين، ونحن لا نغالي إن قلنا إنّ التّهضة العربيّة رهينة إرادة صادقة كإرادة الرّجل وأمثاله، لأنّها تعيد الاعتبار لما أهمل وتصحّح توازنا مختلاً بربط جسر متينة بين المغرب والمشرق. فالباحثون ينزعون نحو العمل بطريقة معزولة كلّ في مجاله وبتعاون خاصّ مع مشاهبيه والحال أنّ النظرية الأدبية يفترض بها أن توقّر مناسبات للتلاقي.



1- Thibaud Lanfranchi « L'historien face à la littérature » in. Acta fabula, Année 2011, volume 12, numéro6, p128. <https://www.fabula.org/acta/document6403.php>



## المصادر والمراجع:

### المصدر:

- 1- أبو القاسم محمّد كزّو، الشّابي (أبحاث-وثائق-صور)، تونس، المركز الوطني للاتّصال الثقافي، 2009، ج1.
- 2- أبو القاسم محمّد كزّو، الشّابي (أبحاث-وثائق-صور)، تونس، المركز الوطني للاتّصال الثقافي، 2010، ج2.

### المراجع العربيّة:

- 1- بسمة بن سليمان، الهوية السردية للبطل، تونس، الدّار التّونسيّة للكتاب، 2020،
- 2- حسين الود، في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج، تونس، دار المعرفة للنّشر، 1980
- 3- العربي بن علي بن نائر " منهجيات التّاريخ للأدب العربيّ من القصور والضّبابيّة إلى الوعود الخصبة"  
<https://platform.almanhal.com/Files/2/56784>

### المراجع المترجمة:

- 1- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، ترجمة عبد الحلّيم النّجار، القاهرة، دار المعارف، الطّبعة الخامسة، 1977.

### المراجع الأجنبية:

- 1- Gabrielle Napoli, La représentation de l'écrivain face à l'histoire dans les récits d'Antonio Tabucchi et Imre Kertész: une littérature responsable, Hall archives ouvertes.fr, tel.archives-ouvertes.fr
- 2- Nordmann Jean-Thomas. Pierre Citti, Contre la décadence - Histoire de l'imagination dans le roman, 1890-1914. In: Romantisme, 1989, n°63. Femmes écrites. pp. 116-119.
- 3- Jean Louis Backhès «Les différents rythmes de l'histoire littéraires» in. Littérature et nation histoire littéraire, 1991, Publication de l'université François-Rabelais, Tours.
- 4- Sylvain Doussot « Récit preuve et témoignage : argumenter en histoire à l'école » in. Cahiers de narratologie, analyse et théorie narratives, <https://doi.org/10.4000/narratologie.7830>
- 5- Michel De Certeau « Hagothraphie » in. Encyclopaedia Universalis, 1990, Editeur à Paris, France.
- 6- Todorov Tzvetan. L'histoire de la littérature. In: Langue française, n°7, 1970. La description linguistique des textes littéraires, sous la direction de Pierre Kuentz. p. 14.